آيات الصيام
دروس وتأملات

Verses about fasting lessons and reflections

إعداد

د/ محمد بن حمد المحيميد

قسم القرآن وعلومه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ،
جامعة القصيم، المملكة العربية السعودية

آيات الصيام
دروس وتأملات

محمد بن حمد المحيميد
قسم القرآن وعلومه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة القصيم، المملكة العربية السعودية
البريد الإلكتروني :abosalh3234@gmail.com

الملخص :
إن بحث (آيات الصيام- دروس وتأملات) اشتمل على تعريف الصيام، وحكمته، وفضله، ووقت مشروعيته، وأسباب نزول آيات الصيام، والمناسبة لما قبلها وما بعدها، وتطرقت لخصوصية رمضان، ومنّة الله- عزَّ وجل- في التخفيف على الأمة، ومشروعية التكبير والشكر عند ختام الشهر، وكذا مشروعية الدعاء واقترانه بالصيام.
وفي البحث فوائد وأحكام منوعة، مثل: مشروعية الاعتكاف في رمضان، وتعظيم حدود الله- عزَّ وجل-، والندب إلى التقوى، ولطف الله بعباده، وتيسيره في أحكام الصيام، وخصوصية رمضان بالقرآن، والحث على الدعاء، وتحين حال الصيام، ومراعاة الحاجات الأسرية، والغرائز الفطرية.
بعد التطواف الممتع في آيات الصيام نخرج بنتائج كثيرة، منها:
١- أن الصوم مدرسة وتربية للنفوس، وقوام للتقوى.
٢- لطف الله بعباده، وتيسيره في أحكام الصيام.
٣- خصوصية رمضان بالقرآن.
٤- الحث على الدعاء، وتحين حال الصيام.
٥- مراعاة الحاجات الأسرية، والغرائز الفطرية.
٦- مشروعية الاعتكاف في رمضان.
٧- تعظيم حدود الله.
الكلمات المفتاحية: الصيام، رمضان، التقوى، الشكر، الاعتكاف.

Verses about fasting lessons and reflections

Mohammed bin Hamad Al-Muhaimid
Department of the Qur'an and its Sciences, College of Sharia and Islamic Studies, Qassim University, Kingdom of Saudi Arabia
Email: abosalh3234@gmail.com

Abstract:

The study of (The Verses of Fasting - Lessons and Reflections) included the definition of fasting, its wisdom, its virtues, the time of its legitimacy, the reasons for the revelation of the verses of fasting, and the occasion for what came before and after it. It touched on the privacy of Ramadan, the blessing of God - the Almighty - in relieving the nation, and the legitimacy of saying "Allahu Akbar" and giving thanks. At the end of the month, as well as the legitimacy of supplication and its association with fasting.

After exploring the verses of fasting, we come up with many results, including:

1- Fasting is a school and education for souls, and a foundation for piety.
2- God's kindness to His servants, and His facilitation of the provisions of fasting.
3- The privacy of Ramadan in the Qur'an.
4- Encouraging people to pray when it comes to fasting.
5- Taking into account family needs and innate instincts.
6- The legitimacy of itikaf during Ramadan.
7- Maximizing God's limits.

Keywords: fasting, Ramadan, piety, gratitude, seclusion.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين شرع لعباده ما تصلح به قلوب، وتصح أبدانهم، وتطيب أحوالهم، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. **أمَّا بعد:**

فإن آيات الصيام في سورة البقرة آيات عظيمة، وتشتمل على حِكم عظيمة، ودروس بليغة، وأحكام كثيرة. وقد اخترت دراسة هذه الآيات في هذا البحث المختصر، وسميته (آيات الصيام- دروس وتأملات-)

اقتضت طبيعة البحث أن يتكون من مقدمة، وتمهيد، وتسعة مباحث

المقدمة، وفيها أهمية البحث، وخطته.

التمهيد، وفيه:

أولاً: تعريف الصيام.

ثانياً: حكم الصيام، ومتى شُرع؟

ثالثاً: فضل الصيام.

رابعاً: أسباب النزول في آيات الصيام.

خامساً: مناسبة آيات الصيام لما قبلها وما بعدها.

المبحث الأوَّل: الحكمة من مشروعية الصيام.

المبحث الثاني: أيام رمضان.

المبحث الثالث: خصوصية رمضان بالقرآن.

المبحث الرابع: منّة الله في التخفيف على الأمة.

المبحث الخامس: تكبير الله- عزَّ وجل-.

المبحث السادس: مشروعية الدعاء، واقترانه بالصيام.

الفصل السابع: التوسعة على الزوجين ليالي الصيام.

المبحث الثامن: مشروعية الاعتكاف.

المبحث التاسع: تعظيم حدود الله.

أسأل الله- عزَّ وجل- أن ينفعني وإخواني الصائمين بهذا البحث.

وصلِّ الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهيد

ويشتمل على:

أولاً: تعريف الصيام.

ثانياً: حكم الصيام، ومتى شُرع؟

ثالثاً: فضل الصيام.

رابعاً: أسباب النزول في آيات الصيام.

خامساً: مناسبة آيات الصيام لما قبلها وما بعدها.

أولاً

تعريف الصيام

الصيام لغةً:

الإمساك، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ [سورة مريم: ٢٦]، والمعنى أنه مريم –عليها السلام– أمسكت عن الكلام(١).

وفي الشرع:

"التعبُّد لله– سبحانه وتعالى– مع النية بالإمساك عن الأكل، والشرب، وسائر المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس"(٢).

ويُمكن أن يُشار إلى أن الإمساك في الصيام مع النية ليس خاصاً بالمفطرات الحسية، وإنما يجب أن يمتنع حال صيامه عن الممنوعات شرعاً؛ لقول النبي– ﷺ–: (مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ وَالْجَهْلَ . فَلَيْسَ له حَاجَةٌ أَن يَدَعَ طَعامَهُ وشرابَهُ)(٣).

*****

(١) انظر: تهذيب اللغة، مادة (صوم).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٢٧٣/٢)، والعدة في شرح أحاديث العمدة ص٢٩٩.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الزور والعمل به، (٣/ ٢٦)، ح ١٩٠٣ .

ثانياً

حُكم الصيام، ومتى شُرع؟

حُكم الصيام:

أجمع العلماء على فرضية الصيام، وأن صيام رمضان ركن من أركان الإسلام، ودلَّ على ذلك الكتاب، والسنة، وهذا مستفيض.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [سورة البقرة: ١٨٣].

وقال- ﷺ-: (بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ،..... وذكر منها صَوْمِ رَمَضَانَ)[1].

هذه دلالة الكتاب، والسنة على فرضية الصيام.

متى شُرع الصيام؟

شُرع الصيام في السنة الثانية من الهجرة في شهر شعبان[2].

قالوا: وصام رسول الله- ﷺ- رمضان تسع سنين [3].

*****

(١) أخرجه البخاري ، كتاب الإيمان، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «بني الإسلام على خمس»، (١/ ١١)، ح ٨ ، وأخرجه مسلم ، كتاب الإيمان، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «بني الإسلام على خمس»، (١/ ٤٥)، ح ٢١ .

(٢) المجموع، للنووي (٦/٢٥٠).

(٣) المرجع السابق نفسه.

ثالثاً

فضل الصيام

النصوص كثيرة جداً في فضل الصيام، ومنها على سبيل المثال:

١- عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال النبي- ﷺ-: قال الله- عزَّ وجل-: (كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إلاَّ الصوم؛ فإنّه لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، والصيام جُنّة، فإذا كانَ يَوْمُ صَومِ أَحَدِكُمْ؛ فَلا يَرْفُثْ، ولا يَصْخَبْ، فَإنْ سابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقلْ: إنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ، ، والذي نفس محمد بيده لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ يومَ القيامةِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، وَلِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يفرَحهُمَا ، إذا أفطرَ فرِحَ بِفطرِه، وإذاَ لَقِي ربَهُ فَرِحَ بِصومِهِ)[1].

فهذا الحديث القدسي الصحيح فيه فضائل كثيرة للصيام، فهو محبوب لله- عزَّ وجل-، وله خصوصية عند الله- عزَّ وجل-، والصوم جنّة، ووقاية، وريح فمه طيّبة جدا عند الله يوم القيامة؛ لأنها مُتولّدة عن قوّة الطاعة، والإحسان، والصوم مفرح في الدنيا والآخرة.

٢- قال- ﷺ-: (مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)[2].

*****

(١) أخرجه البخاري ، كتاب التوحيد، باب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وروايته عن ربه، (٩/ ١٥٧)، ح ٧٥٣٨ ، وأخرجه مسلم ، كتاب الصيام، باب فضل الصيام، (٢/ ٨٠٧)، ح ١٦٤.

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب الصوم، باب من صام رمضان إيمانا واحتسابا ونية، (٣/ ٢٦)، ح ١٩٠١ ، وأخرجه مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في قيام رمضان، وهو التراويح، (١/ ٥٢٣)، ح ١٧٥.

رابعاً

أسباب النزول في آيات الصيام

ورد بعض الآثار في أسباب نزول لبعض آيات الصيام، ومنها:

١- عنْ عبدِالرحمنِ بن أبي ليْلَى قالَ: (قَامَ عمرُ بن الخطَابِ- ﷺ- فَقَالَ: يَا رَسولَ اللهِ، إني أَردتُ أهلِي البَارِحةَ عَلى مَا يُرِيدُ الرَّجُلَ أهلَهُ، فَقَالتْ: إنَها قَدْ نَامتْ، فَظننتُهَا تَعتلْ، فَواقعْتُها، فَنزلَ في عُمر ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾[البقرة:١٨٧])[1].

٢- عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: (لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ:﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾ [البقرة: ١٨٧] ولم ينزل ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ قَالَ: " وكَانَ رجالٌ إِذَا أَرَادَ الصَّوْمَ، رَبَطَ أَحَدُهُمْ فِي رِجْلَيْهِ الْخَيْطَ الْأَبْيَضَ، وَالْخَيْطَ الْأَسْوَدَ ، فَلَا يَزَالُ يَأْكُلُ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُ رِؤْيَتُهُمَا فَأَنْزَلَ اللهُ بَعْدَ ذَلِكَ: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾، فَعَلِمُوا أَنَّمَا يَعْنِي بِذَلِكَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ)[2].

*****

(١) مسند الفاروق ، كتاب التفسير ، باب : حديث يذكر عند قوله: {أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم}، (٢/ ٤٧٨)، ح ٧٩٤. العجاب في بيان الأسباب (١/ ٤٣٧) ، أسباب النزول، للواحدي (ص: ٣٠).

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب الصوم، باب قول الله تعالى: {وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل} [البقرة: ١٨٧]، (٣/ ٢٨) ، ح ١٩١٧، وأخرجه مسلم ، كتاب الصيام، باب بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر، (٢/ ٧٦٧)، ح ٣٤ . العجاب في بيان الأسباب (١/ ١٧١)، أسباب النزول، للواحدي (ص: ٣١).

خامساً

مناسبة آيات الصيام لما قبلها وما بعدها

آيات الصيام في سورة البقرة أتت متوسطة بين آياتٍ منوّعةٍ من التوجيهات، والأحكام، فقد سبقها آيات حول أصول الإيمان والبر بقوله تعالى: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾[سورة البقرة: ١٧٧].

وتلاها آيات القصاص ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى﴾ [سورة البقرة: ١٧٨].

ثم آيات النفقة والوصية ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ [سورة البقرة: ٢١٥]وما بعدها.

ثم أتت آيات الصيام بعد ذلك ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾[سورة البقرة: ١٨٣].

وبعد آيات الصيام جاءت جملة من الأحكام، ثم أحكام الحج ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾[سورة البقرة: ١٩٦].

فآيات الصيام منتظمة مع جملة من الأحكام الشرعية، وارتبط ركن الصوم بركن الحج في آياتٍ مُتقاربة.

*****

المبحث الأوَّل

الحكمة من مشروعية الصيام

بيّن الله- عزَّ وجل- في مطلع آيات الصيام الحكمة من فرض الصيام على المسلمين بقوله- عزَّ وجل-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [سورة البقرة: ١٨٣].

خاطب الله المؤمنين بأخص أوصافهم وهو الإيمان، وبيّن أنه فرض عليهم مثل ما فرض على الأمم السابقة، ما فيه نقاء للأبدان والأرواح وهو الصيام، وبيّن الغاية الكبرى من هذا الفرض العظيم، والركن القويم بقوله- عزَّ وجل-: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾.

والتقوى تشمل كل ما يقي العبد من سخط الله، ويُقربه إليه، كما قال العلماء: التقوى أن تجعل بينك وبين عذاب الله وقاية بفعل أوامره، واجتناب نواهيه.

قال القرطبي: "ومعنى ﴿تَتَّقُونَ﴾ هنا: تصنعون، فإنه كلما قل الأكل ضعفت الشهوة، وكلّما ضعفت الشهوة قلّت المعاصي، وهذا وجه مجازي حسن. وقيل: لتتقوا المعاصي، وقيل: هو على العموم؛ لأن الصيام كما قال- عليه السلام-: (الصيامُ جُنّة وَوِجَاء)[1]، وسبب تقوى؛ لأنه يميت الشهوات"[2].

وقال السعدي- رحمه الله-: "ثم ذكر تعالى حكمته في مشروعية الصيام، فقال: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾، فإن الصيام من أكبر أسباب التقوى؛ لأن فيه امتثال أمر الله، واجتناب نهيه.

---

(١) سبق تخريجه ص (٧) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٧٦).

فممَّا اشتمل عليه من التقوى: أن الصائم يترك ما حرَّم الله عليه من الأكل، والشرب، والجماع ونحوها التي تميل إليها نفسه، مُتقرباً بذلك إلى الله، راجياً بتركها ثوابه، فهذا من التقوى.

ومنها: أن الصائم يُدرِّب نفسه على مُراقبة الله تعالى، فيترك ما تهوى نفسه مع قدرته عليه؛ لعلمه باطلاع الله عليه.

ومنها: أن الصيام يضيق مجاري الشيطان، فإنه يجري من ابن آدم مجرى الدم، فبالصيام يضعف نفوذه، وتقل منه المعاصي.

ومنها: أن الصائم في الغالب تكثر طاعته، والطاعات من خصال التقوى.

ومنها: أن الغني إذا ذاق ألم الجوع أوجب له ذلك مواساة الفقراء المعدمين، وهذا من خصال التقوى"[١].

إن التقوى هي وصية الله للأولين والآخرين، وثمراتها، وفوائدها كثيرة جداً، ولذا فإن الله ميّز الصيام العظيم والكبير بأنه قائد للتقوى، مُثمر لها، سائق للتسابق في درجاتها[٢].

*****

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٨٦.

(٢) انظر: كتاب فوائد التقوى من القرآن الكريم، الشيخ محمد بن عثيمين.

المبحث الثاني

أيام رمضان

ذكر الله- عزَّ وجل- أيام رمضان في آيات الصيام، ووصفها بأنها (معدودات)، فهي تمر سريعاً، وتمضي بعجل، ممَّا يُحفِّز المسلم على المبادرة باستغلالها، والحرص على اغتنام دقائقها، ولحظاتها، وفرصها، وعدم التواني أو التفريط في دررها المنوّعة من ضبط للصيام، واتقاءٍ للحرام، وقراءة القرآن، والبر والإحسان (أيام معدودات)، فهي وإن كانت شهراً كاملاً (شهر رمضان) إلاَّ أنها وكأنها قلائل، حيث إنها لآلئ السنة بأكملها.

قال السعدي- رحمه الله-: "ولما ذكر أنه فرض عليهم الصيام أخبر أنه في أيامٍ معدودات؛ أي: قليلة في غاية السهولة..."(١).

وقال د. سليمان اللاحم: "والمعنى: أياماً محصيات، محدودات، قليلات، ثلاثين يوماً، أو تسعة وعشرين يوماً، في السنة، من بين اثني عشر شهراً، فليس فيه عنت، ولا مشقة، بل هو في غاية اليسر، والسهولة.

وقد عوض الله- عزَّ وجل- هذه الأمة- لما كانت أعمارهم قليلة بالنسبة لمن سبقهم من الأمم بصيام هذا الشهر؛ ليدركوا من سبقهم، بل وليسبقوهم بالفضيلة، كما قال- صلى الله عليه وسلم-:(نَحْنُ الْآخِرُونَ، السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا) (٢). وما أسرع ما تمضي هذه الأيام المباركة من هذا الشهر المبارك وخاصةً عند من قَدَّرها قدرها"(٣).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٨٦.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجمعة، باب فرض الجمعة، (٢/ ٢)، ح ، ٨٧٦، و أخرجه مسلم ، كتاب الجمعة، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة، (٢/ ٥٨٦) ، ح ، (٨٥٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) تنوير العقول والأفهام في تفسير آيات الأحكام ص١٧٤.

المبحث الثالث

خصوصية رمضان بالقرآن

قال الله- عزَّ وجل-: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾[سورة البقرة: ١٨٥].

نزول القرآن في شهر الصيام له دلالة أكيدة على اختصاص هذا الشهر العظيم بهذا الكتاب الكريم، وأنه ينبغي التنبّه لذلك، والإقبال على القرآن في أيام وليالي الصيام بالتلاوة، والتدبر، والتفكر.

في الحديث الصحيح عن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فلرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ)[(١)].

لهذا يستحب كثرة قراءة القرآن في رمضان، وتدارسه، وللسلف أحوال عجيبة في التفرغ للقرآن في هذا الشهر المبارك، وكثرة ختم القرآن، ممَّا يُحفِّز الهمم على التنافس في ذلك.

*****

(١) أخرجه البخاري ، كتاب الصوم، باب: أجود ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يكون في رمضان (٣/ ٢٦)، ح ٩٠٢ ، وأخرجه مسلم ، كتاب الفضائل، باب كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير من الريح المرسلة (٤/ ١٨٠٣)، ح ٥٠ .

المبحث الرابع

منّة الله في التخفيف على الأمة

امتنَّ الله- عزَّ وجل- في شريعة الإسلام على أمة الإسلام بالتيسير والتخفيف في كثيرٍ من المواضع، ومنها:

قال الله- عزَّ وجل-: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [سورة الحج: ٧٨].

وقال- ﷺ-: (إنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، ولنْ يشادَّ الدِّينُ أحدٌ إلاَّ غَلَبه فسدِّدُوا، وقَارِبُوا) الحديث(١).

وقال- ﷺ- أيضاً: (يسّروا ولا تُعسّروا، وبشّروا ولا تُنفّروا)(٢).

وفي آيات الصيام جاء جملة من التخفيفات على هذه الأمة كالتالي:

١- التخفيف في الفطر عند العذر من مرضٍ، أو سفر، ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [سورة البقرة: ١٨٤]. وكرَّر ذلك بقوله: ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [سورة البقرة: ١٨٥].

٢- وضع الصيام عن الكبير العاجز بقوله- سبحانه وتعالى-: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [سورة البقرة: ١٨٤].

في البخاري عَنْ عَطَاءٍ سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ- رضي الله عنهما- يَقْرَأُ ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لَيْسَتْ بِمَنْسُوخَةٍ،

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، (١٦/١)، ح ٣٩.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا (١/ ٢٥)، ح ٦٩ ، وأخرجه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في الأمر بالتيسير، وترك التنفير، (٣/ ١٣٥٩)، ح ٨.

هي لِلشَّيْخِ الْكَبِيرِ وَالْمَرْأَةِ الْكَبِيرَةِ لَا يَسْتَطِيعَانِ أَنْ يَصُومَا فَيُطْعِمَانِ مَكَانَ كُلِّ يَوْمٍ مِسْكِينًا [١].

وقد أطعم الصحابة، والتابعون بعد كبرهم ومشقة الصيام عليهم[٢]، وهذا من منّة الله، وتخفيفه على هذه الأمة.

٣- التخفيف في الجماع بين الزوجين ليالي الصيام.

وسيأتي الكلام على ذلك في المبحث السادس إن شاء الله.

كل هذا امتنان من الله- سبحانه وتعالى- على هذه الأمة، فإن الإسلام دين السعة، والتيسير، وعدم الحرج!!.

*****

(١) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن الكريم، باب قوله: {أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر، وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين، فمن تطوع خيرا..} (٦/ ٢٥) ، ح ٤٥٠٥ .

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٣٧٩/١).

المبحث الخامس
تكبير الله- عزَّ وجل-

في ثنايا آيات الصيام شرع الله- عزَّ وجل- تكبيره عند إكمال عدّة الصيام، وهذا من تمام شكر الله- عزَّ وجل- على بلوغ شهر رمضان، وإكمال صيامه، والطَّاعات المشتمل عليها.

قال الله- سبحانه وتعالى-: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [سورة البقرة: ١٨٥].

قال السعدي- رحمه الله-: "﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾ وهذا- والله أعلم- لئلا يتوهم متوهم أن صيام رمضان يحصل المقصود منه ببعضه، رفع هذا الوهم بالأمر بتكميل عدته، ويشكر الله تعالى عند إتمامه على توفيقه، وتسهيله، وتبيينه لعباده، وبالتكبير عند انقضائه، ويدخل في ذلك التكبير عند رؤية هلال شوال إلى فراغ خطبة العيد"(١).

وقال د. اللاحم: "والمعنى: ولتكبروا الله، وتعظموه على الدوام، وفي ختام هذا الشهر، وليلة العيد، ويومه إلى الفراغ من خطبة العيد- على هدايته لكم للصراط المستقيم، ولصيام شهر رمضان وإكماله؛ مرددين: " اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ "(٢)، " اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ الله "(٣) "اللهُ أكبَرُ كَبِيراً، وَالْحَمْدُ لِلّهِ كَثِيراً، وَسُبْحَانَ اللهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً "(٤). إلى غير ذلك من ألفاظ التكبير.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص (٨٦) .

(٢)الآثار لأبي يوسف (ص: ٦٠) ح ٢٩٧ – عن ابن مسعود- رضي الله عنه .

(٣)مصنف ابن أبي شيبة كتاب الصلوات، باب التكبير من أي يوم هو إلى أي ساعة (١/ ٤٨٨) ح ٥٦٣٣ .

(٤) أخرجه مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يقال بين تكبيرة الإحرام والقراءة، (١/ ٤٢٠) ، ح ١٥٠، من حديث ابن عمر- رضي الله عنهما-

وكذا تعظيم الله- عزَّ وجل- بأنواع الذكر كُلّها، التي تشرع على الدوام، وبخاصةً عند إكمال العبادات وانقضائها، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾[سورة البقرة: ٢٠٠]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾[سورة النساء: ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾[سورة الجمعة: ١٠]، وقال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾[سورة ق: ٤٠].

وعن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: (مَا كُنَّا نَعرِفُ انقِضَاءَ صَلاةِ رسُولِ الله- ﷺ- إلاَّ بالتكْبِير)[(١)].

وقال- ﷺ- لمُعَاذ- رضي الله عنه-: (لَا تَدَعَنَّ أَنْ تَقُولَ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ) [(٢)][(٣)].

إذن فتكبير الله- عزَّ وجل- مطلب عظيم يُصاحب العبادات، ويكون ختاماً كالطابع عليها.

فالله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً.

*****

(١) أخرجه البخاري ، كتاب الأذان، باب الذكر بعد الصلاة، (١/ ١٦٨)، ح ٨٤٢ ، و أخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب الذكر بعد الصلاة ، (١/ ٤١٠) ح ٥٨٣.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب في الاستغفار، (٢/ ٨٦) ح ١٥٢٢، والنسائي ، كتاب السهو، باب نوع آخر من الدعاء ، (٣/ ٥٣)، ح ١٣٠٣- من حديث معاذ- رضي الله عنه-.

(٣) تنوير العقول والأفهام في تفسير آيات الأحكام ص (١٧٤) .

المبحث السادس

مشروعية الدعاء، واقترانه بالصيام

جاء في ثنايا آيات الصيام الحث على الدعاء، والترغيب فيه، والتشويق إليه.

يقول- سبحانه وتعالى-: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [سورة البقرة: ١٨٦].

وتتناسب الآية مع آيات الصيام أن الصائم قريب من ربّه، وأنه حري بالإجابة، كما جاء في الحديث أن النبي- ﷺ- قال: (ثَلاثَةٌ لا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الصَّائِمُ حين يُفْطِرَ، وَالإِمَامُ الْعَادِلُ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ) [(١)].

وقال- ﷺ-: (إِنَّ لِلصَّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ دَعْوةٌ مَا تُرَدُّ)[(٢)].

ولهذا ينبغي استشعار ذلك من قِبل الصائمين، والإلحاح على الله بالدعوات،

لا سيّما لحظات الإفطار.

*****

(١) أخرجه الترمذي ، كتاب الدعوات، باب في العفو والعافية، (٥/ ٤٧٠)، ح ٣٥٩٨، وأخرجه ابن ماجة، كتاب الصيام ، بَابٌ فِي الصَّائِمِ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُ (١/ ٥٥٧) ، ح ١٧٥٢، وحسنه الترمذي.

(٢) سنن ابن ماجه ، كتاب الصيام، باب في الصائم لا ترد دعوته، (٢/ ٦٣٦)، ح ١٧٥٣، شعب الإيمان، كتاب الصيام، باب ما يفطر الصائم عليه و ما يقول عند فطره (٣/ ٤٠٧)، ح ٣٩٠٤. الحكم : غير صحيح ، تمام المنة للألباني ص(٤١٥) .

المبحث السابع

التوسعة على الزوجين ليالي الصيام

يقول الله- سبحانه وتعالى- حول ذلك: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [سورة البقرة: ١٨٧].

قال السعدي- رحمه الله-: "كان في أوَّل فرض الصيام يحرم على المسلمين في الليل بعد النوم الأكل، والشرب، والجماع، فحصلت المشقة لبعضهم، فخفَّف الله تعالى عنهم ذلك، وأباح في ليالي الصيام كلها الأكل، والشرب، والجماع، سواء نام أو لم ينم؛ لكونهم يختانون أنفسهم بترك بعض ما أمروا به.

﴿فَتَابَ﴾ الله ﴿عَلَيْكُمْ﴾بأن وسع لكم أمراً كان- لولا توسعته- موجباً للإثم ﴿وَعَفَا عَنكُمْ﴾ ما سلف من التخون.

﴿فَالْآنَ﴾ بعد هذه الرخصة والسعة من الله ﴿بَاشِرُوهُنَّ﴾ وطأً، وقبلةً، ولمساً وغير ذلك.

(ق ق ق ق ق)؛ أي: انووا في مباشرتكم لزوجاتكم التقرب إلى الله تعالى، والمقصود الأعظم من الوطء، وهو حصول الذرية، وإعفاف فرجه، وفرج زوجته، وحصول مقاصد النكاح.

وممَّا كتب الله لكم ليلة القدر، الموافقة لليالي صيام رمضان، فلا ينبغي لكم أن تشتغلوا بهذه اللذة عنها، وتضيعوها، فاللذة مُدركة، وليلة القدر إذا فاتت لم تدرك"(١).

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص٨٧.

فهذه الآية توسعة للمؤمنين في أمرٍ كانوا يتحرجون منه، وجاء التعبير البليغ ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾، وهذا فيه دلالة على العلاقة الوثيقة بين الزوجين، ولذا فإن الله يسّر الأمر، وسهّله بقوله: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ بالوقاع في الليل ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ﴾، وأباح المعاشرة بقوله: ﴿فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ من اللذّة، والولد ونحوها.

فالحمد لله على نعمه السَّابقة على عباده عموماً، وعلى الأسرة المسلمة خصوصاً.

*****

المبحث الثامن
مشروعية الاعتكاف

جاء ذكر (الاعتكاف) في آخر آيات الصيام، وذلك أن الاعتكاف يكون في شهر الصيام، في العشر الأواخر خاصة، كما استقرت بذلك السنة عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم-(١).

قال- عزَّ وجل-: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِ﴾[سورة البقرة: ١٨٧].

وروى عن مسلم عن عائشة- رضي الله عنها- قال: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ- صلى الله عليه وسلم- إِذَا أَرَادَ أَنْ يَعْتَكِفَ صَلَّى الْفَجْرَ ثُمَّ دَخَلَ فِي مُعْتَكَفِهِ)(٢).

قال ابن كثير: "فإنه نبّه على ذكر الاعتكاف بعد ذكر الصوم، وفي ذكره تعالى الاعتكاف بعد الصيام إرشاد وتنبيه على الاعتكاف في الصيام، أو في آخر شهر الصيام، كما ثبتت بذلك السنة عن رسول الله- ﷺ- أنه كانَ يَعتكِفُ العشرَ الأَواخِرَ من رَمَضانَ؛ حَتى تَوفَّاهُ الله- عزَّ وجل-، ثُمَّ اعْتكفَ أَزواجُهُ مِنْ بَعدِه). أخرجاه من حديث عائشة أم المؤمنين- رضي الله عنها- (٣).

فالاعتكاف سُنّة مؤكدة، لا سيّما في رمضان، في العشر الأواخر منه.

*****

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣٩٧/١).

(٢) سنن الترمذي، كتاب الصوم ، باب الاعتكاف، (٣/ ١٥٧)، ح ٧٩١ ، مسند الحميدي، أحاديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (١/ ٢٥٤)، ح ١٩٦ .

(٣) أخرجه البخاري، كتال الاعتكاف، باب الاعتكاف في العشر الأواخر، والاعتكاف في المساجد كلها (٣/ ٤٧)، ح ٢٠٢٦ ، وأخرجه مسلم ، كتاب الاعتكاف، باب اعتكاف العشر الأواخر من رمضان (٢/ ٨٣١) ح ٥ .

المبحث التاسع

تعظيم حدود الله

ختم الله آيات الصيام بتنبيه عظيم بعد أوامر ونواه، حول الصيام والاعتكاف بقوله: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾[سورة البقرة: ١٨٧].

قال السعدي- رحمه الله-: "﴿تِلْكَ﴾ المذكورات وهو تحريم الأكل، والشرب، والجماع ونحوه من المفطرات في الصيام، وتحريم الفطر على غير المعذور، وتحريم الوطء على المعتكف، ونحو ذلك من المحرمات.

﴿حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ التي حدها لعباده، ونهاهم عنها، فقال: ﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ أبلغ من قوله: (فلا تفعلوها)؛ لأن القربان يشمل النهي عن فعل المحرم لنفسه، والنهي عن وسائله الموصلة إليه.

والعبد مأمور بترك المحرمات، والبُعد عنها غاية ما يمكنه، وترك كل سبب يدعو إليها، وأمَّا الأوامر فيقول الله فيها: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ فينهى عن مجاوزتها.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: بيَّن الله لعباده الأحكام السابقة أتم تبيين، وأوضحها لهم أكمل إيضاح.

﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ فإنهم إذا بان لهم الحق اتبعوه، وإذا تبيّن لهم الباطل اجتنبوه، فإن الإنسان قد يفعل المحرم على وجه الجهل بأنه محرم، ولو علم تحريمه لم يفعله، فإذا بيّن الله للناس آياته لم يبق لهم عذر ولا حجة، فكان ذلك سبباً للتقوى"[(١)].

*****

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٨٧، ٨٨.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبيّنا محمد وصحبه أجمعين.

بعد التطواف الممتع في آيات الصيام نخرج بنتائج كثيرة، منها:

١- أن الصوم مدرسة وتربية للنفوس، وقوام للتقوى.

٢- لطف الله بعباده، وتيسيره في أحكام الصيام.

٣- خصوصية رمضان بالقرآن.

٤- الحث على الدعاء، وتحينه حال الصيام.

٥- مراعاة الحاجات الأسرية، والغرائز الفطرية.

٦- مشروعية الاعتكاف في رمضان.

٧- تعظيم حدود الله.

قائمة المصادر والمراجع

١- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، المؤلف: عبد الرحمن بن محمد ابن أبي حاتم ، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة - ١٤١٩ هـ.

٢- تفسير القرآن العظيم (لابن كثير) ،المؤلف: إسماعيل بن عمر بن كثير ، المحقق: محمد حسين ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ.

٣- تنوير العقول والأفهام في تفسير آيات الأحكام، المؤلف: أ.د. سليمان اللاحم، الناشر : دار العاصمة ، عام ١٤٣٢هـ.

٤- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، المحقق: عبد الرحمن اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ .

٥- الجامع لأحكام القرآن، المؤلف: محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، الناشر: دار الكتب المصرية ، القاهرة ، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ .

٦- سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى الترمذي، المحقق: بشار عواد ، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨ م.

٧- سنن ابن ماجة، المؤلف: محمد بن يزيد القزويني، المحقق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، الناشر: دار الرسالة ، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ.

٨- صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل البخاري ، المحقق: محمد زهير الناصر، الناشر: دار طوق النجاة ،الطبعة: الأولى، عام ١٤٢٢هـ.

٩- صحيح مسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج النيسابوري، المحقق: محمد عبدالباقي، الناشر : مطبعة عيسى البابي، عام النشر ١٣٧٤هـ، الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي.

١٠- العدة في شرح العمدة في أحاديث الأحكام، المؤلف :علاء الدين علي العطار ،المحقق نظام محمد يعقوبي، الناشر : دار البشائر ، سنة النشر ١٤٢٧هـ، الطبعة الأولى .

١١- فوائد التقوى من القرآن الكريم ، الشيخ محمد بن صالح العثيمين، الناشر مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، القصيم، السعودية، الطبعة الأولى، سنة النشر ١٤٢٨هـ.

١٢- المجموع شرح المهذب، للإمام النووي، مع تكملة السبكي والمطيعي، المؤلف: محيي الدين يحيى بن شرف النووي ،الناشر: دار الفكر، سنة النشر ١٩٩٧م، مكان النشر بيروت.

١٣- أسباب النزول، المؤلف : الواحدي، توزيع دار الباز للنشر والتوزيع عباس أحمد الباز مكة المكرمة ، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م، الناشر مؤسسة الحلبي .

١٤- العجاب في بيان الأسباب، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المحقق: فواز أحمد ، الناشر : دار ابن حزم ، سنة النشر ١٤٢٢هـ.

١٥- تمام المنة في التعليق على فقه السنة، المؤلف : محمد ناصر الدين الألباني

الناشر : المكتبة الإسلامية ، دار الراية للنشر، الطبعة : الثالثة – ١٤٠٩هـ.

References :

1- tafsir alquran aleazimi, lil'iimam abn 'abi hatim.
2- tafsir abn kathirin, lilhafiz abn kathirin.
3- tanwir aleuqul wal'afham fi tafsir ayat al'ahkami, du. sulayman allaahim.
4- taysir alkarim alrahman, eabdalrahman alsaedi.
5- aljamie li'ahkam alqurani, lil'iimam alqurtubii.
6- sunan altirmidhi, lil'iimam altirmidhi.
7- sunan abn majat, lil'iimam abn majata.
8- sahih albukharii, lil'iimam albukhari.
9- sahih muslamun, lil'iimam muslimun.
10- aleadat sharh 'ahadith aleumdati.
11- fawayid altaqwaa, alshaykh muhamad aleuthaymin.
12- almajmue sharh almuhadhabi, lil'iimam alnawawii.